

أضواء البيان

@ 216 @ دونه إلهاء فقد قلنا شططا . قوله تعالى : { هَآؤُلَآءِ قَوِّمُونَا اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْ لَا يَأْتُوا تُونِ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ } . (لولا) في هذه الآية الكريمة للتحضيض ، وهو الطلب بحث وشدة . والمراد بهذا الطلب التعجيز ، لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسلطان بين على جواز عبادة غير الله تعالى . والمراد بالسلطان البين : الحجة الواضحة . .

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة : من تعجيزهم عن الإتيان بحجة على شركهم وكفرهم وإبطال حجة المشركين على شركهم جاء موضحاً في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخَرِّجُوهُ لَدُنَّا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّالِمِينَ وَالْإِنِّ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } ، وقوله تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْإِسْمِ رَضَاهُمْ لَهْمُ شُرَكَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ اذْهَبُوا بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ هَآذِهِ أَوْ أَتَارَةً مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ، وقوله تعالى منكرًا عليهم : { أَمْ ءَاتَيْنَاهُمُ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ } ، وقوله جل وعلا : { أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ } ، وقوله تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْإِسْمِ رَضَاهُمْ لَهْمُ شُرَكَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمُ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُكُمُ الْإِنَّمُوتُ بِعِصْمَةٍ ثُمَّ يَنْقُضُ عَنْهَا إِذَا فَعَلُوا إِلَآءَ الْآخِرَةِ لَا يُفْلِحُونَ } ، والآيات الدالة على أن المشركين لا مستند لهم في شركهم إلا تقليد آبائهم الصالين كثيرة جداً وقوله في هذه الآية الكريمة (هؤلاء) مبتدأ ، و (قوما) قيل عطف بيان ، والخبر جملة (اتخذوا) وقيل (قومنا) خبر المبتدأ ، وجملة (اتخذوا) في محل حال . والأول أظهر ، والله تعالى أعلم . قوله تعالى { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا } . أي لا أحد ظلم ممن افترى على الله الكذب بادعاء أن له شريكاً كما افتراه عليه قوم أصحاب الكهف ، كما قال عنهم أصحاب الكهف { هَآؤُلَآءِ قَوِّمُونَا اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً } . . وهذا المعنى الذي ذكره هنا من أن افتراء الكذب على الله يجعل الشركاء له هو أعظم

الظلم جاء مبيناً في آيات كثيرة ، كقوله : { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى
اللَّهِ وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ } ، وقوله : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْءَلٰٓئِكَ